﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٤٦﴾ [يس: 46]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

العلاقةُ بين الصُّدودِ عمّا يُؤمَرُ بتوقّيه والإعراضِ عن الآياتِ المُنزَّلةِ

لمّا كان تقديرُ جواب الشَّرط في الآية السّابقة هو (أعرَضوا)، بيَّن أنَّ الإعراضَ عن آياتِ اللّه، قد صار لهم خُلُقًا لا يقدرون على الانفكاك من أسرِه، فعطفَ عليه هذه الآيةَ إشارةً إلى هذا المعنى[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُعْرِضِينَ﴾: (عرض) أَصلُ كلمةِ (الإعراضِ) منَ: (العَرْضِ)، وهو الظُّهورُ والبُروزُ[2]، أو منَ (العَرْضِ)، وهو خِلافُ الطّولِ، يُقالُ: (اعترَضَ الطَّريقَ) إذا سارَ عَرْضًا، وسُمّيَ الرَّفضُ إعراضًا؛ لأنَّ الرّافضَ أظهرَ خلافَ الشَّيءِ، أو لأنَّه كالواقفِ عرضًا في وجهِ الشَّيءِ[3]، والإعراضُ أيضًا: الصَّدُّ والتَّوَلّي، ويأتي الإعراضُ بمعنى: الانصرافِ عن الشَّيءِ بالقلبِ، وضدُّ الإعراضِ: الإقبالُ[4]، والمقصودُ بالإعراضِ في الآيةِ: الانصرافُ بالوجهِ عن الشَّيءِ، ثمَّ يُبنَى عليه الانصرافُ بالفِكرِ عنه؛ أي: تارِكينَ التَّفكُّرَ فيها[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ذمُّ الإعراضِ عن آياتِ اللهِ القوليَّةِ والكونيَّةِ بالقولِ أو بالفعلِ

يقولُ الحقُّ سبحانه: وما تنزلُ عليهم آيةٌ من آيات القرآن التي من جملتها تلك الآياتُ النّاطقةُ بتفصيل بدائع صُنع اللّه المُنبعثة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 136.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عرض).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (عرض).
(4) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (عرض).
(5) الواحدي، التفسير البسيط: 8/ 17.

بجريان أحكام أُلوهيَّته على جميع الكائنات إلّا أعرَضوا عنها استهزاءً وتكذيبًا غيرَ مُتدبِّرين معناها، ولا ناظرينَ في دلالتِها[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مُناسبةُ الوصلِ في الآيةِ:

جاء قولُه تعالى: ﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ﴾، الآيةَ على طريقِ الوصل بالواو لاشتراكِهما في الخبريَّةِ وفي الجهة الجامعةِ؛ لأنَّه لـمّا ذكرَ أنَّهم إذا ذُكِّروا بآياتِ اللهِ ووُعِظوا بها أعرَضوا كما يُفهَمُ منَ السّياق، ولـمّا كان الكلامُ على طريقِ الذَّمِّ صرَّح بمُداومتِهم على الإعراضِ عن آياتِ اللهِ التي تأتيهم، تأكيدًا لذمِّهم.

الإعـــراضُ عن آيـــاتِ اللـه مـذمـومٌ وأشـدُّ منه الاصرارُ على ذلك

بلاغةُ القصرِ في السّياقِ المُحكَم:

عُبِّرَ بأسلوبِ القصر بـ(ما) و﴿إِلَّا﴾ في الآيةِ لإيذانِ المُخاطَبين من المشركين المكذِّبين بأنَّهم مُخطِئونَ في إعراضِهم عن أيِّ آيةٍ من آياتِ ربِّهم كلَّما أتَتْهم، ومُخطِئونَ في إصرارِهم على هذا الإعراضِ، كما يُفيدُ أنَّهم مُنكِرونَ لخطَئِهم ويعتَقِدون أنَّهم على صوابٍ في إعراضِهم عن الآياتِ، ففيه تقبيحٌ لهم وتسفيهٌ لعقولِهم.

المُـعـرِضـون عـن الآيـاتِ يـسـتَـحـقّـون تقبيحَ أفعالِهم وتـسـفـيـهَ أحلامِهم

نكتةُ التَّعبيرِ بالإتيانِ في الآية:

عبَّر بالإتيانِ في قولِه: ﴿تَأۡتِيهِم﴾ للإشارةِ إلى سهولةِ إتيانِ الآياتِ وكونِها قريبةً منهم، ولـمّا كانَ المُرادُ منَ الآياتِ ما يشملُ النَّقليَّةَ والكونيَّةَ - بحسبِ ما سيأتي - كان اللَّفظُ مُتناوِلًا للإتيانِ بطريقِ الوحي وبطريقِ الآياتِ الكونيَّةِ، ووصف ما نزلَ بطريق الوحي على رسولِ اللهِ ﷺ بقولِه: ﴿تَأۡتِيهِم﴾؛ للإشارةِ إلى أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد بلَّغَها لهم، وأنَّهم قد سمِعوها، فهي قريبةٌ منهم، وصارَتْ بين أيديهم، فيكونُ التَّعبيرُ على الحقيقةِ، وأمّا وصفُ الآياتِ

آيـــاتُ الـلـه القوليَّةُ مُتاحةٌ في المـصـاحـفِ، وآياتُه الكونيَّةُ ظاهرةٌ في الآفاقِ

(1) المراغي، تفسير المراغي: 7/ 74.

الكونيَّة بكونِها تأتيهم فهو على معنى الظُّهورِ، فعبَّر بالإتيانِ مجازًا عن الظُّهورِ؛ إذ إتيانُ الشَّيء سببُ الظُّهورِ التّامِّ له[1]، فيكونُ لفظ ﴿تَأۡتِيهِم﴾ مُستعملًا في حقيقتِه ومجازِه معًا، والمعنى: ما تظهرُ لهم آيةٌ منَ الآياتِ الدالَّةِ على وحدانيَّتِه وتفرُّدِه تعالى بالألوهيَّةِ ممّا نزلَ بالوحي، أو ما تظهرُ لهم من الآياتِ الكونيَّةِ إلّا كانوا عنها مُعرضينَ.

وأفاد التَّعبيرُ بالإتيان أيضًا تعظيمَ كلِّ آيةٍ منَ الآياتِ التي تأتيهم، فإنَّ لفظَ (أتى) يُستَعملُ غالبًا لِما عظُم شأنُه كما في قولِه تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النّحل: 1]، فأمرُ اللّه عظيمٌ.

فائدةُ صيغةِ المُضارع: ﴿تَأۡتِيهِم﴾:

التَّعجيبُ من استمرارِ إعراضِ الكافرين مع استمرارِ إتيانِ الآياتِ

عُبِّرَ بصيغةِ المُضارع في قولِه: ﴿تَأۡتِيهِم﴾ للدَّلالة على استمرارِ إتيانِ الآياتِ وتجدُّدِها وقتًا فوقتًا[2]، ولحكايةِ الحالِ الماضية بقرينة: ﴿كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾، وفائدةُ حكاية الحال تصويرُ حالة إتيانِ الآياتِ وحالة إعراضِهم؛ ليكونَ على سبيل ذمِّهم، ففيه تعجيبٌ من حالِهم في استمرارِهم في الإعراضِ مع استمرارِ إتيانِ الآيات الدّالَّة على توحيدِ اللّه والإيمان به وبرسولِه ﷺ.

دلالةُ تقديمِ المفعولِ في السّياقِ:

بيانُ أنَّ الآياتِ في المُتناوَلِ، وأنَّها وصلتهُم بلا ريبٍ

قُدِّمَ المفعولُ به (هم) على الفاعلِ ﴿ءَايَةٖ﴾، في قولِه: ﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ﴾ للإشعارِ بأنَّ كلَّ آيةٍ هي في مُتناوَل أيديهم، وأنَّها قد وصلتهم، ويُفيدُ التَّقديم أيضًا استِعطافَهم لِما في التَّقديم من إشعارٍ بالاهتمامِ بهم، بحيث تكون الآياتُ عندَهم.

فائدةُ ﴿مِّنۡ﴾ في قولِه ﴿مِّنۡ ءَايَةٖ﴾:

تأكيدُ النَّفي وإرادةُ العمومِ كلاهما مُبيَّنٌ في الدَّلالةِ

﴿مِّنۡ﴾ في قولِه: ﴿مِّنۡ ءَايَةٖ﴾ لتأكيد النَّفي، وللنَّصِّ على العمومِ وتحقيقِه[3]، لئلّا يُتوهَّم أنَّه قد أتتهم آيةٌ واحدةٌ فقط.

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 8/ 16.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 28.
(3) الكرماني، لباب التفاسير، ص: 2357، وأبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 6/ 18.

دلالةُ لفظِ ﴿ءَايَةِ﴾ في السّياقِ:

الآيـةُ تشمـلُ آيـاتِ التَّنزيل والآياتِ الكونيَّةَ

يحتملُ أن يكون المرادُ من لفظِ ﴿ءَايَةِ﴾ آيةَ التَّنزيل، لتشملَ أيَّ آيةٍ من آياتِ القرآن، كما تحتملُ أن يكونَ المرادُ منَ الآية الحجَّةَ والعلامةَ الباهرةَ الدّالَّة على توحيد الله تعالى وصدقِ نبوَّة سيِّدِنا محمَّد ﷺ، والظّاهر أنَّها تشملُ الاثنين، فتشملُ آياتِ التَّنزيل والآياتِ الكونيَّةَ، ليفيدَ الكلام أنَّ كلَّ آيةٍ قرآنيةٍ أو كونيَّةٍ هي علامةٌ ظاهرةٌ باهرةٌ على توحيدِ الله تعالى وصدقِ رسول الله ﷺ[1].

دلالةُ التَّنكير في لفظِ ﴿ءَايَةِ﴾:

مـفـادُ السّيـاق تـفـخـيـمُ الآيـة والتَّنويه بأثرِها لمَن يعرفُ قدرَها

أفاد تنكيرُ لفظ ﴿ءَايَةِ﴾ العمومَ؛ لمجيء اللَّفظ في سياق النَّفي، والمعنى: ما يأتيهم أيُّ آيةٍ من آياتِ ربِّهم إلّا كانوا عنها مُعرِضين، وفي التَّنكير أيضًا تعظيمٌ للآية التي تأتيهم، وتفخيمٌ لها؛ بمعنى: أنَّ آيةً واحدةً تكفيهم لو لم يُعرِضوا عنها.

فائدةُ ﴿مِّنْ﴾ في ﴿مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾:

ما يـأتي النّـاسَ مـنَ الآيـاتِ هو بعضٌ من آياتِ الله

﴿مِّنْ﴾ في قوله: ﴿مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ تبعيضيَّةٌ[2]، بمعنى: من بعضِ آياتِ ربِّهم، ففيه إشارةٌ إلى كثرة آياتِ الله تعالى وتنوُّعِها، وأنَّ ما يأتي النّاسَ من الآياتِ الكونيَّة والقوليَّة هو بعضٌ من آيات الله.

دلالةُ مجيء الصِّفة في السّياق:

آياتُ الله نعمةٌ وفـضـلٌ منه سبحانه على العبادِ

جاء قولُه تعالى: ﴿مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ صفةً لـ﴿ءَايَةِ﴾ على وجه التَّقييد، بمعنى: أنَّها آية ليست مثل سائر الآيات، بل هي آيةٌ موصوفةٌ بأنَّها من آيات ربِّهم، فأفادتِ الصِّفةُ تعظيمَ الآية وبيانَها وتذكيرًا بأنَّها من آياتِ ربِّهم المنعِم عليهم والمُحسنِ إليهم، وفي مجيء الصِّفة قيدًا للموصوفِ إشعارٌ بعلَّة وجوبِ النَّظر في الآيات وعدمِ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 526، والواحدي، التفسير البسيط: 8/ 16، وأبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 6/ 18.

(2) الكرماني، لباب التفاسير، ص: 2357، وأبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 6/ 18.

الإعراضِ عنها؛ أي: لكونِها من آيات ربِّهم المُحسِنِ إليهم، والإشعارُ أيضًا بتعنُّتِهم وعدمِ اهتمامِهم بالآية التي تأتيهم والموصوفة بأنَّها من آياتِ ربِّهم.

فائدةُ الإضافةِ في السّياقِ المُحكمِ:

تهويلُ الاجتراءِ على الإعراضِ عن آياتِ الله تعالى

إضافةُ ﴿ءَايَـٰتِ﴾ إلى ﴿رَبِّهِمْ﴾ في قولِه تعالى: ﴿ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ تُفيدُ اختصاصَ الآياتِ بكونِها آياتِ ربِّهم على سبيل الحصر؛ بمعنى: كلُّ ما يظهرُ منَ العلاماتِ الباهرةِ هو من آياتِ ربِّهم، وتُفيدُ الإضافةُ أيضًا تشريفَ الآياتِ وتعظيمَها المُستتبعَ تهويلِ ما اجترؤوا عليه في حقِّها من الإعراضِ عنها[1]، وفي الإضافةِ أيضًا إيماءٌ إلى الجانبِ الذي تأتي منه هذه الآياتُ، والمعنى: وما تأتيهم آيةٌ من ربِّهم.

نكتةُ الإضافةِ إلى عنوانِ الرُّبوبيَّةِ:

كلُّ آيةٍ هي آيةُ إحسانٍ وإنعامٍ وتربيةٍ للأنامِ

أُضيفَ لفظُ ﴿ءَايَـٰتِ﴾ إلى اسمِ الرَّبِّ المُضافِ إلى ضميرِهم في قوله: ﴿ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ دونَ أن يُقالَ: (آيات الله)؛ لأنَّه لمّا أضافَ الآيات إلى اسمِ الرَّبِّ الذي هو بمعنى: المُحسنِ والمُنعمِ عليهم والمُربّي لهم أفادَ أنَّ كلَّ آيةٍ هي آيةُ إحسانٍ وإنعامٍ وتربيةٍ لهم لردِّهم إلى الإيمان بالله ورسولِه ﷺ؛ أي: فكان ينبغي أن يحرِصوا عليها وينتَفِعوا من هذا الإحسانِ، لا أنْ يُعرِضوا عنه؛ ليُفيدَ أنَّ الإعراضَ عن آياتِ الله إعراضٌ عمَّن غَمَرَهم إحسانُه وعمَّهم فضلُه وامتِنانُه[2]، ففيه تعجيبٌ من حالِهم وتقبيحٌ لإعراضِهم.

دلالةُ إضافةِ اسمِ الرَّبِّ إلى الضَّميرِ:

الإعراضُ عن آياتِ اللهِ تمرُّدٌ عن حقِّ العبوديَّةِ لله الأوحدِ

إضافةُ الرَّبِّ إلى ضمير (هُمْ) في قولِه: ﴿رَبِّهِمْ﴾ لقصد التَّسجيلِ عليهم بالعقوق لحقِّ العبوديَّةِ؛ لأنَّ من حقِّ العبد أن يُقبِلَ على ما يأتيه من ربِّه وعلى مَن يأتيه يقولُ له: إنّي مُرسَلٌ إليك من

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 170.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 136، والخطيب الشربيني، السراج المنير: 3/ 353.

ربِّك، ثمَّ يتأمَّلُ وينظرُ، وليس من حقِّه أن يُعرِضَ عن ذلك؛ إذ لعلَّه يُعرِضُ عمّا إن تأمَّلَه علمَ أنَّه من عند ربِّه[1].

فائدةُ الاستثناءِ في السّياق المُحكم:

جاء قولُه تعالى: ﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾ على طريقِ الاستثناءِ المُفرَّغ؛ ليُفيدَ الاستثناءَ من أعمِّ الأحوالِ، ليشملَ حالَهم وحال إتيان الآية، والتَّقديرُ: ما تأتيهم آيةٌ من آياتِ ربِّهم في حالٍ من أحوالهم أو في حالٍ من أحوالِ الآية إلا في حالِ كونِهم عنها مُعرِضين[2]، ليُفيدَ الاستثناءُ إعراضَهم عن الآيةِ في جميعِ أوقاتِهم وأماكنِهم، فهم مُعرِضونَ صباحًا ومساءً وفي جميع أماكنِ تواجُدِهم، وليشملَ جميع أنواعِ الآياتِ وأوقاتِ ظهورِها؛ أي: ليس لهم في جميع أحوالِهم إلّا الإعراضُ عن الآيات، وكأنَّه يُشير إلى عدمِ رجائِهم الرَّحمةَ بسببِ إعراضِهم، وعدَمِ استحقاقِهم لها.

تقبيحُ الإعراضِ عن أنواعِ الآياتِ في جميعِ الأماكنِ والأوقاتِ

دلالةُ الحالِ في سياقِ الآية:

لمّا كان الاستثناءُ مُفرَّغًا وكانت جملةُ: ﴿كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾ في موضعِ الحالِ من مفعولِ: ﴿تَأۡتِيهِم﴾[3]، وكان الحالُ على معنى اقترانِه بصاحبِه؛ أي: اقتران إعراضِهم في وقت إتيانِ الآيات كان في الكلام دلالةٌ بيِّنةٌ على كمالِ مُسارعتِهم إلى الإعراضِ عن الآياتِ وإيقاعِهم له في آنِ إتيانِها[4].

المُسارعةُ إلى الإعراضِ عن الآياتِ وكونُ ذلك في وقتِ إتيانِها

سرُّ إيثارِ التَّعبير بـ﴿كَانُواْ﴾ في السّياقِ:

أوثِرَ التَّعبيرُ بتركيبِ: ﴿كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾ على أن يُقالَ: (إلّا أعرَضوا عنها) كما وقع مثلُه في قولِه تعالى: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ

من أقبحِ الإعراضِ عن آياتِ اللهِ الاستغراقُ في الإعراضِ عنها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/ 134.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 170.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/ 134.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/ 109.

﴿وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾ [القمر: 2]؛ لِما يدلُّ عليه تركيبُ (كان) مع اسمِها وخبرِها - مع مجيءِ خبرِها ﴿مُعۡرِضِينَ﴾ بصيغةِ اسمِ الفاعل - على استمرارِهم على الإعراضِ ومُداومَتِهم عليه بحسبِ استمرارِ إتيانِ الآياتِ، ويُفيدُ التَّعبيرُ بـ﴿كَانُواْ﴾ أيضًا استغراقَهم في الإعراضِ حتَّى صار من كينونتِهم؛ أي: لا يُفارِقُهم الإعراضُ وإن استَمرَّ إتيانُ الآياتِ[1].

فائدةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ:

خطأُ الكافرين في اختيارِهم الإعراضَ عن الإيمانِ، وبقائِهم على الكفرِ

قُدِّمَ ﴿عَنۡهَا﴾ على مُتعلَّقِه ﴿مُعۡرِضِينَ﴾ لإفادةِ الحصرِ الادِّعائيِّ، فكأنَّهم لا يُعرِضونَ عن شيءٍ سِوى عن آياتِ ربِّهم، مُبالغةً في تقبيحِ حالِهم.

ويحتملُ أن يكون التَّقديمُ للحصرِ الإضافيِّ[2]، وبيانُه: أنَّه لمّا كان إتيانُ الآياتِ من أجلِ الإيمان باللّه ورسولِه ﷺ كانتِ الآياتُ دالَّةً على الإيمانِ، فكانوا بين أن يُعرِضوا عن الكفر الذي هم فيه أو عن الإيمان الذي أتاهم، ليُفيدَ الحصرُ الإضافيُّ أنَّهم كانوا مُعرِضينَ عنها لا عمّا هم عليه منَ الكفر، ففيه تنبيهٌ لهم على ما وقَعوا فيه منَ الخطأ وتعمُّدِهم فيه؛ أي: في اختيار الإعراضِ عن الإيمانِ وبقائِهم على الكفرِ، ففيه تعليلٌ لسببِ كُفرِهم الدّالِّ على جهلِهم وسفاهةِ عقولِهم لتركِهم النَّظرَ والاتِّعاظَ، كما أنَّ في تقديمِ الجارِّ والمجرورِ رعايةً للفاصلةِ ورؤوسِ الآيِ[3].

الإعراضُ عن آياتِ اللّه بالتَّكذيبِ والاستهزاءِ، وبتركِ النَّظرِ الصَّحيحِ فيها

دلالةُ التَّعبيرِ بلفظِ: ﴿مُعۡرِضِينَ﴾:

لمّا كان الإعراضُ يُفيدُ معنى التَّركِ والصُّدودِ؛ لأنَّ (أعرَضَ)

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 170.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 29.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 169.

بمعنى: ولَّى مُبديًا عَرْضَه[1]، أوثرَ التَّعبيرُ بـ﴿مُعْرِضِينَ﴾ لِما يدُلُّ عليه الإعراضُ من تولّيهم عن النَّظرِ والتأمُّلِ في الآياتِ التي تأتيهم.

ويدلُّ اللَّفظُ أيضًا على عِنادِهم وصُدودِهم بعد التَّحقُّق والعلمِ بأنَّها آياتٌ[2]، ففي الآياتِ النَّقليَّة القوليَّة أعرَضوا على وجهِ التَّكذيب والاستهزاءِ، وفي الآياتِ الكونيَّة أعرَضوا عن طريق تركِ النَّظر الصَّحيح فيها المُؤدّي إلى الإيمانِ به ﷻ[3]، فيشملُ لفظُ الإعراضِ مَن يتركُ النَّظرَ والتَّأمُّلَ بعقلِه، ومَن يُعانِدُ ويصُدُّ عن آياتِ اللّه.

وفيه إيماءٌ إلى أنَّ ما ورَدَ في القرآنِ من سؤالِ الكافرين الآياتِ لكي يُؤمِنوا كان سؤالَ تعنُّتٍ لا سؤالَ استرشادٍ، ولو كان سؤالُهم سؤالَ استرشادٍ لآمَنوا بالآياتِ وتمسَّكوا بها.

بلاغةُ الاستعارةِ التَّصريحيَّةِ:

في لفظِ: ﴿مُعْرِضِينَ﴾ استعارةٌ، بيانُها أنَّ الإعراضَ هو الانصرافُ بالوجه عن الشَّيءِ مُتولّيًا عنه مُبديًا عرضَه، بحيثُ لا يلتَفتُ إليه ولا يرفَعُ به رأسًا[4]، فاستُعيرَ اللَّفظُ للانصرافِ عن النَّظرِ والفكرِ والتأمُّلِ، وللانصرافِ القلبيِّ، فشُبِّهت حال الإعراض الفكريِّ بحال التَّولّي الحسّيِّ، وحُذِفَ المشبَّه به على طريق الاستعارةِ التَّصريحيَّة التَّبعيَّة، ونكتةُ الاستعارة الإشعارُ بتركهم النَّظرَ في الآياتِ على وجهِ الانصرافِ عنها وتركِهم لها خلفَ ظُهورِهم، ففيه معنى الصَّدِّ عن الآياتِ وانتفاءُ الرَّغبةِ في الانتفاعِ منها.

المُعرِضُ عن آياتِ الله صادٌّ عنها لا يرغَبُ في الانتفاعِ بها

من دلالاتِ التَّعبير بقولِه" ﴿مُعْرِضِينَ﴾:

لمّا جاء التَّعبيرُ بلفظِ: ﴿مُعْرِضِينَ﴾ على طريقِ الذَّمِّ، وكان ما يُقابلُ الإعراضَ هو الإقبالُ أفادَ التَّعبيرُ بلازمِ قولِه: ﴿كَانُواْ عَنْهَا

الحثُّ على الإقبالِ على آياتِ الله بتلاوةِ المسطورِ والنَّظرِ في المنظورِ

(1) الرّاغب، المفردات: (عرض).
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 8/ 524.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 170.
(4) الزمخشري، الكشاف: 2/ 5.

﴿مُعۡرِضِينَ﴾ الحثَّ على استمرارِ الإقبالِ على الآياتِ النَّقليَّة بقراءتِها والتَّمسُّكِ بها، وعلى الآياتِ الكونيَّة بالنَّظر فيها.

بلاغةُ التَّذييلِ في الآية:

مجيءُ جملةِ التَّذييلِ في مقامِ المثَلِ في عُمومِه وحكايتِه والتَّمثُّلِ به

لـمّا كان قولُه: ﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾ على معنى العموم، وكان اللّه تعالى قد ذكر الآياتِ الكونيَّةَ في قوله: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [يس: 33]، وقولِه: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ﴾ [يس: 37]، وقولِه: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾، وأعقبه ذكرَ آياتِ التَّنزيلِ في قولِه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾؛ جاء قولُه تعالى: ﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾ على معنى التَّذييلِ[1] لتأكيدِ إعراضِهم؛ وتُفيدُ جملةُ التَّذييلِ العمومَ والكُلّيَّة، بمعنى: تعميمِ أحوالِهم وأحوالِ ما يُبلَّغونه منَ القرآن[2]، فتشملُ الآياتِ الكونيَّةَ والآياتِ التَّنزيليَّةَ، فتنزَّلُ الآيةُ لوُقوعِها موقعَ التَّذييلِ ممّا قبلَها منزلةَ المثَلِ في التَّمثيلِ لحالِ المُشركينَ الذين عادتُهم الإعراضُ عن آياتِ اللّه في الكون وفي القرآن.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإعراضُ والصَّدُّ:

الإعراضُ وصفٌ للنَّفس بمعنى الانصرافِ والتَّولّي، والصَّدُّ منعٌ أو امتناعٌ

الصَّدُّ: بمعنى المنعِ عن قصدِ شيءٍ مخصوصٍ[3]، فيكونُ المصدودُ عنه مُعيَّنًا مقصودًا؛ بمعنى: منعِ الوصولِ إليه، أو بمعنَى الامتناعِ منه، فالصَّدُّ يكونُ للغير بمنعِه، وللنَّفسِ بالامتناعِ عن المصدودِ[4].

وأمّا الإعراضُ: فهو بمعنَى التَّولّي والرَّفضِ للشَّيء بطريقِ

(1) الطيبي، حاشية على الكشاف: 13/ 62.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 29، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 31.
(3) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 114.
(4) الراغب، المفردات (صدد).

الانصراف عنه، فهو وصفٌ للنَّفس، ولا يتعلَّقُ بمنعِ الغيرِ عن شيءٍ ما، ولهذا لمّا ذكرَ اللّه تعالى الآيةَ في قولِه: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ناسبَ ذكرَ الإعراضِ؛ لأنَّه في سياقِ وصفِ حالِ الكافرينَ مع آياتِ اللّه بانصرافِهم عنها، وليس في سياقِ منعِ النّاس منَ النَّظر في آياتِ اللّه، فضلًا عمّا فيه من دلالةِ الإصرارِ على الرَّفضِ بالتَّولّي وبشكلٍ ظاهرٍ؛ لأنَّ الإعراضَ لا يكونُ إلّا ظاهرًا لمُناسبتِه لأصلِ الاشتقاقِ، وأمّا الصَّدُّ فقد يكونُ ظاهرًا وقد يكونُ خفيًّا.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»